

المقدمة

تهتم وزارة الثقافة في المملكة الأردنية الهاشمية بالثقافة الأردنية بالمعنى العامّ للمصطلح آخذةً بعين الاعتبار المفهوم الحضاري الشامل لمنظومة القيم والعادات وطرائق التفكير، ومُجمَل إنجازات الوطن الأردني من علوم وفنون وآداب. وقد تجسّد هذا الاحتفاء بسلسلة من الحوافز والجوائز، فضلاً عن الدّعم المادّي والمعنوي للباحثين والمبدعين في مجالات الفكر الخلاق، والفنّ الرصين المعبر عن هموم الوطن والأمة والإنسان؛ فخرج هذا الفنّ من دائرة ضيقة إلى فضاءات عربية وعالمية رَحبة حقّق فيها العطاء الأردني سمعة طيبة، وحظيَ باهتمام الدارسين من الشرق والغرب.

وقد تتابعت جهود التنمية الثقافية والحضارية على مدى عقود متعدّدة، وتُوّجت هذه الجهود بمنح مراكز المحافظات الأردنية فُرصة الإبداع والإنجاز الفكري والفني والأدبي، ونجح ذلك باقتدار في مواسم «المدن الثقافية» الأردنيّة السنوية. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذه المدن لم تقم على فكرة التجزئة الفجّة، والاقتطاع المكاني المضلّل، وإنما قامت على بيان تواسُج الأجزاء في تكوين الكلّ الأردنيّ والعربيّ والعالميّ. إنّ الإنجاز الفكريّ هو نتاج إنسان ما في زمن ومكان معيّنين، وهو متّصل حتمًا بالعصر والمصادر المعرفية المتوافرة فيه، والأجواء السياسية والاقتصادية والجمالية التي تسمُ هذا العصر؛ ولعلّ ذلك هو الذي يمكن المتلقّي من

إدراك الأعمال وفهمها وتحليلها. إنّ الفكر، والأدب، على وجه التحديد، لا يمكن إدراكه وفهمه بمعزل عن الظروف المحيطة به؛ لأنّ العمل الإنسانيّ أو المشاعر والأفكار، كما يرى «تّين»، يحكمها نظام أو قانون، تخضع معه لخصائص الجنس والعصر والبيئة...ومهما يكن، فإنّ الإنجاز الأردنيّ، على الرغم من خصوصيّته، لا يعدو أن يكونَ مركّباً من عناصر متعدّدة تُفضي إلى الغنى والتّعدّد الشكلي والمضموني: المحلية، والعربية الإسلامية، والإنسانية. والعمل الذي تقدّم له، وهو موسوعة المعارف الأردنيّة / محافظة مادبا، نهض به نفرٌ من الباحثين الجادّين الذين عشقوا المكان الأردنيّ بعامة، ومحافظة «مادبا» بشكل خاصّ؛ لما لهم في المكان من ذكريات، فمعظمهم وُلد وترعرع فيه، وبعضهم أكمل دراساته الأولى، أو عمل أبائهم وقطنوا فيه. وقد حرص القائمون على الموسوعة على أن تكون وافية، شاملة لعناصر الزمان والمكان والإنسان؛ بوصفها موضوعاتٍ ومضامين من جهة، وعللاً متظافرة لإنجاز المُبدعات من جهة أخرى. وإذا كانت الظاهرة الأدبية هي الوعاء الذي عكس التطوّرات التاريخية، والتغيّرات الاجتماعية، ومنظومة المعارف، فإنّ الموسوعة لم تُغفل بحال من الأحوال المسائل التاريخية والاجتماعية والسياسية، ليس لكونها حوافزاً وأسباباً لنموّ الأدب وتطوّره حسب، وإنّما لأنها حقول معرفية لا يمكن تجاوزها عند الحديث عن الأبعاد الحضارية والثقافية؛ ومن هنا عُوّمل السياسيّ أو الباحث في السياسة، والفقير ورجل الدين، والمحامي والقاضي، والحاكم الإداريّ، وعالم الاجتماع، والوجيه الذي خدم الوطن... معاملة الأديب والنحاتّ والفنان التشكيلي والموسيقيار...إنّ الموسوعة تقدّم المعرفة التي يفيد منها الباحثون كلّ حسب تخصصه، والقراء كلّ على وفق رغبته، كما يفيد منها المثقّف والمزارع والعامل وغير هؤلاء من الشرائح الاجتماعية، إنّها تطمح لأن تكون

زاداً لمن يبحث عن المعرفة والمعلومة المفيدة التي تمكّنه من الحكم على الأبعاد الفكرية والأدبية والاجتماعية، أو إعادة النظر في بعض المستقرّات أو الأفكار المسبقة عن الوطن الأردني ضمن سياقه العربيّ والإسلاميّ والإنسانيّ؛ لكلّ ذلك، استلهم الباحثون، على وفق اهتماماتهم، التاريخ الإنسانيّ بأحداثه ودروسه وميثولوجيّته، كما استلهموا تاريخهم العربيّ الإسلاميّ، وتابعوا ما فيه من فترات مُضيئة، وأخيراً استلهموا الحاضر الأردنيّ بتحوّلاته السياسية والاجتماعية، استلهموا حاضر وطن مُنجب يقف شاهداً على النموّ والاستقرار والإبداع على الرغم من الظروف الناجمة عن القضية الفلسطينية، وضيق ذات اليد، وهنا سائحة لا بدّ من الإشارة إليها، وهي أنّ «مادبا»، كما هو الحال في الوطن كلّه، استوعبت من زارها واستقرّ بها، بقطع النظر عن الدين والمهنة والأصل... لقد عوّل الباحثون على ما توافر لديهم من مدوّنات عربية وأجنبية، وتنوّعت مصادر معرفتهم، فشملت المخطوطة والكتاب المطبوع والصحيفة ووسائل الاتصال الحديثة، زيادة على المصادر الشفوية. وقد حظي الباحثون بحرية كاملة في اختيار المناهج التي تخدم إكمال الموسوعة على النحو الذي نأمل أن ينال رضی المتلقّي، ونشير هنا إلى أن العمل الذي بين أيدينا لم يصل إلى درجة الاكتمال، وهي مسألة بعيدة المنال؛ لا سيما عند النظر إلى الأعمال التي كتبت بلغات غربية كالإسبانية والروسية والأوردية والألمانية...، ويضاف إلى ذلك أنّ هذا العمل قابل للزيادة على مرّ السنين كما هو الحال في غالب الموسوعات، وخاصّة في الغرب. ويجب الاعتراف، ونحن نشير إلى المنهج، إلى أنّ الوصف والرصف قد سيطرا على التّأليف إلى حدّ ملموس، وهو أمر تتطلبه طبيعة الموسوعة الشمولية، مع اتّكاء على المنهج التحليليّ بما لا يغلب الرؤية الذاتية على الموضوعيّة العلميّة.

شملت موسوعة «مادبا» الثقافية عشرة حقول تناولت معظم جوانب الحياة الثقافية بمعناها الواسع: الأدب، والفن، والإدارة والقانون، والتاريخ، والجغرافيا، والسياحة والآثار، والاقتصاد، والأبعاد الاجتماعية والمكونات السكانيّة، ونحن إذ نضعها بين يدي قرائنا الأعزاء، فإننا نلتمس أن يزودونا بملاحظاتهم، وإضافاتهم؛ فالموسوعة بالمعنى العلمي الحقيقي ليست نهائية، وهي قابلة للتعديل والزيادة وفق الأسس العلمية المعروفة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

اللجنة الاستشارية

لإعداد موسوعة «مادبا» الثقافية

د. محمد الشوابكة